



تاريخ الاستلام: 2022-09-07..... تاريخ القبول: 2022-10-18

ملخص :

تتناول الورقة موقف سوريا من الثورة الجزائرية منذ لحظة اندلاعها في الفاتح من نوفمبر عام 1954، وتدرس كل أشكال الدعم العسكري والسياسي والدبلوماسي والمالي الذي قدمته الدولة السورية حكومة وشعبا. وتؤكد على أن صور التلاحم والتضامن المدروسة ترتبط بالشعور القومي والنزوع نحو الوحدة الذي ميّز فترة الخمسينات من القرن العشرين، وبالارتباط التاريخي والثقافي والديني بين الشعبين. الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية، سوريا، فرنسا، حزب البعث العربي الاشتراكي، التضامن، شكري القوتلي.

Abstract :

The paper deals with Syria's position towards the Algerian revolution since its outbreak on the 1st of November 1954, and studies all forms of military, political, diplomatic and financial support provided by the Syrian government and people. It stresses that the studied forms of cohesion and solidarity are linked to the national feeling and the tendency toward unity that characterized the 50s of the twentieth century, and the historical, cultural and religious connection between the two peoples.

Keywords: the Algerian revolution, Syria, France, the Arab Socialist Ba'ath Party, solidarity, Shukri al-Quwatli.

سوريا والثورة الجزائرية**Syria and the Algerian Revolution**

هزري بن جلول / جامعة زيان عاشور

-الجلفة

(الجزائر)

bendjelloul70@yahoo.com

لم تختلف علاقات الجزائريين بسوريا عن طبيعة علاقتهم بالشرق العربي سواءً من حيث قدمها، أو من خلال استمراريتها عبر مختلف الحقب التاريخية، ولكنها تجذّرت بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830، وازدادت رسوخاً بعد هجرة الأمير عبد القادر واستقراره في دمشق. والثابت أنّ التواصل بين الجزائريين وسوريا ارتبط بعامل الهجرة التي غلب عليها البُعد الديني، والطابع العلمي والفكري، والذي كان نتيجة طبيعة لسياسة الإبادة المادية والمعنوية التي مارسها الفرنسيون على الجزائريين منذ الاحتلال. وعلى أساس ذلك تبادل الشعبان خلال خضوعهما للسيطرة الاستعمارية، أو مواجهتهما للتحديات الداخلية والخارجية كل أشكال الدعم والمساندة. وعلى أساس ذلك نتساءل: فيم تمثل دور الجزائريين في حركة التحرر السوري؟ وما هي أبرز أشكاله ومحطاته التاريخية؟ وفيما تتجسد أبرز معالم الدعم السوري للثورة الجزائرية؟ وهل شكّل ذلك الدعم عاملاً حاسماً في تحقيق الثورة لهدفها الأول المتمثل في الاستقلال؟.

أولاً: دور الجزائريين في حركة التحرر السوري

أ- في المجال الفكري والثقافي:

- تشير أغلب المصادر والمراجع المتخصصة إلى دور محوري واضح المعالم والأسس تبنته نخبة ثقافية وفكرية يصعب دراستها والاشارة إليها في هذا المقال. ولذلك نكتفي بذكر بعض الأمثلة فقط. في هذا المجال يُعتبر الشيخ طاهر الجزائري⁽¹⁾ أنموذجاً حقيقياً لنشاط الجزائريين في سوريا. ويمكن إبراز مظاهر تلك المقاومة في:
- 1- الاهتمام بأمجاد العرب الغابرة، وذلك من خلال التركيز على التاريخ العربي تدريجاً وتأليفاً، والتركيز على محطات الإشعاع التي رافقت مسيرة العرب التاريخية، وذلك قصد غرسه في الأجيال الناشئة.
- 2- الاهتمام بالحضارة العربية الإسلامية، وإحياء التراث من خلال تأليف الكتب، وتأسيس دار الكتب الظاهرية في دمشق، والمكتبة الخالدية في القدس.
- 3- الاهتمام بالترجمة والتعريب كمنطلق للرفق والنهضة، من خلال الاحتكاك بالتيارات المعاصرة، والاستفادة من منجزات الحضارة الغربية مع الحفاظ على ماهية الأمة، ومنطلقاتها الفكرية والحضارية⁽²⁾. ويظهر أن تركيزه على النهضة الفكرية في بلاد الشام يدخل في إطار تجاوزه حالة الجمود الفكري الذي ميّز الوطن العربي والعالم الإسلامي خلال تلك الفترة. ولم يكن الشيخ طاهر الوحيد من الجزائريين الذين اهتموا بالنهضة الثقافية العربية وبالإصلاح الفكري، وتطوير اللغة العربية بل وُجد جزائريون آخرون أمثال الشيخ مرتضى الحسني والشيخ البشير الإبراهيمي الذي تولى التدريس بالمدرسة السلطانية وبمكتب عنبر في دمشق⁽³⁾.

ب- في المجال السياسي والعسكري:

يتجسّد في نشاط الأمير عبد القادر وجهاده في سوريا، ودوره المميز في حماية الوحدة الوطنية لهذا البلد، ومحاولة التخفيف من شدّة الاحتقان الطائفي بين مكونات المجتمع السوري، والذي كانت تغذّيه الإرساليات التبشيرية والاستعمار الأوروبي الحديث.

والواقع أنّ الأمير عبد القادر الذي تحمّل مسؤوليته القومية والدينية لم ينجح في القضاء على هذه الفتنة الطائفية فقط، ولكنه نجح أيضاً في تحقيق هدفين هاميين تمثّلا في حماية الوحدة الوطنية لسوريا من التمزّق، وساهم بالتالي في



تسكين الاحتقان الطائفي والصراع المذهبي، كما أنه نجح في منع التدخل الأجنبي، وبالتالي تأخير الاحتلال الأوروبي لبلاد الشام⁽⁴⁾.

أولاً : أشكال التأييد والدعم السوري للثورة الجزائرية

تنوعت أشكال الدعم الشعبي السوري للثورة الجزائرية وصوره منذ اندلاعها. وإذا كان من الصعب حصرها في مختلف المدن السورية خلال مختلف مراحل الثورة الجزائرية، فإن التركيز على أصداء الثورة داخل المجلس النيابي السوري الذي يمثل صوت الشعب، ويضم مختلف تياراته السياسية كفيل بإعطاء صورة دقيقة عن الكيفية التي تفاعل بها النواب كممثلين للشعب مع الثورة. كما أن الدعم المالي الذي شاركت فيه مختلف الشرائح الاجتماعية كفيل بتقديم تصور واضح عن التلاحم الشعبي السوري مع الثورة.

1. المجلس النيابي السوري والثورة الجزائرية:

يمكن للباحث في جزئيات الموقف الشعبي السوري وتفصيله تحديد الإطار العام لتضامن المجلس النيابي السوري مع الثورة في تناول أحداثها وسبل دعمها، وفي استنكار فضائع فرنسا وجرائمها في الجزائر، وفي استجواب الحكومات السورية المتعاقبة ومناقشة بياناتها، وانتقاد تقصيرها في إيجاد الوسائل الفعالة لنصرة الثورة، وفي الدعوات المتكررة لمقاطعة فرنسا وضرورة تبني موقف موحد ضدها. ومن خلال جلسات المجلس النيابي وتدخلات النواب خلال الفترة الممتدة بين 1954-1958 يمكن رصد أهم مظاهر الدعم والمساندة في النقاط التالية:

- التنديد بأعمال القتل الجماعي والإبادة التي يديرها الجيش الفرنسي في الجزائر، وتحية الثوار الجزائريين الذين يقدمون التضحيات دفاعاً عن بلادهم.
- إرسال برقية إلى رئيس المجلس الوطني الفرنسي ومطالبته بالتدخل لتحقيق المطالب الشرعية للشعب الجزائري.
- ضرورة أن تتولى سوريا الدعوة إلى توحيد جبهة مقاومة الاستعمار الفرنسي على الصعيدين العربي والعالمي.
- الدعوة إلى مقاطعة فرنسا اقتصادياً وثقافياً وسياسياً وديبلوماسية.
- دعا النواب الحكومة السورية إلى تخصيص جزء من ميزانيتها لدعم المجاهدين الجزائريين مالياً، وبجزء من تعويضاتهم لنصرة الثورة الجزائرية.
- دعوة جامعة الدول العربية إلى إصدار قرار بمقاطعة فرنسا.
- دعوة الحكومة السورية إلى إغلاق المدارس الفرنسية، وإقفال شركاتها ومكاتبها في البلاد.
- ضرورة سعي الحكومة السورية إلى تدويل القضية الجزائرية مع الدول الأفروآسيوية في الأمم المتحدة.
- منع الشركات الفرنسية من المشاركة في المناقصات الدولية والمشاريع في البلاد العربية⁽⁵⁾.

وخلال الجلسة السابعة للمجلس النيابي السوري التي انعقدت في 9 نوفمبر 1954 نجد مسوغات انتصارهم للثورة الجزائرية باعتبارها:

أ. تطبيقاً عملياً لمبدأ العمل لوحدة الأقطار العربية الذي نص عليه الدستور السوري.

ب. تقديرًا لمكانة أقطار المغرب العربي عامة والجزائر خاصة في الوطن العربي.

ج. انتصاراً للدين والعروبة.



د. دعما لحركات التحرير العربي والعالمي⁽⁰⁶⁾.

ومن الأحزاب السياسية التي أولت اهتماما خاصا بالثورة الجزائرية في البرلمان السوري وخارجه يمكن الإشارة إلى حزب البعث العربي الاشتراكي، الذي عبر من خلال أدبياته على مواقف تعكس توجهه القومي وإيمانه بمختلف القضايا العربية. ومن الأمثلة على ذلك المظاهرات، والبيانات، والمهرجانات الشعبية، والتبرعات المالية، وتنظيم الاضرابات والمهرجانات، والتطوع في صفوف الثورة، ومن خلال كتابات بعض النخب الفكرية والسياسية. وعلى هذا الأساس اعتبر ميشال عفلق الثورة الجزائرية " مفاجأة العروبة لنفسها " وأنها تمثل انعطافا في نضال الأمة من أجل التحرر والوحدة، وأن ثورة الجزائر هي ثورة الأمة العربية⁽⁰⁷⁾.

2- الدعم المالي شعبي

ساند الشعب السوري بكل مكوناته، ومختلف شرائحه الاجتماعية الثورة الجزائرية من خلال تنظيم المظاهرات والمسيرات، والتبرعات المالية التي انخرط فيها العمال والطلبة والكشافة والمعلمون والأساتذة. ومن أروع صور التضامن والمساندة التي تفرضها وحدة المنظومة التاريخية والدينية والثقافية، ومعركة المصير الواحد أن "... تقدمت مسنة من المركز الدائم لأسبوع الجزائر وقدمت إليه خاتمها الذهبي التي لا تملك سواه، كما أن مساح أحذية قدم حصيلة عمل يومه وتقدم سائق أجرة بتقديم ما كسب من عمله، وطلب مدرس ثانوي تبني طفلين من أيتام المناضلين الجزائريين وتقدمت مجموعة من الشباب مطالبين بفتح باب التطوع للمشاركة في الكفاح الجزائري"⁽⁰⁸⁾.

وقد عبّر أحد الجزائريين سنة 1959 عن فرحته وسعاده بالشعور الأخوي الذي أبداه السوريون نحو الجزائر وسجل " لقد شعرنا نحن الجزائريون بتأثير عميق جداً، عندما علمنا بهذه الأمثلة: فهذا باع المسكن الوحيد الذي يعيش فيه والآخر هب مزرعته التي لا تقل مساحتها عن ثمانين هكتارا للثورة الجزائرية والموظفون والوزراء يمنحون أجرة شهر كامل، ووزير يتنازل عن سيارته الوحيدة التي يمتلكها، وزوجته تهب أجمل قطعة من حلها إلى أمثلة أخرى عديدة لا تحصى"⁽⁰⁹⁾.

ومن مظاهر الدعم المالي السوري للثورة الجزائرية يمكن رصد الأمثلة التالية:

■ كانت دمشق مصرفاً مالياً أساسياً لجمع التبرعات المالية للثورة بحكم أن سوريا كانت فيها حرية تصريف العملات.

■ في سنة 1956 وبمناسبة أسبوع الجزائر في سوريا نُظمت حملة لجمع تبرعات اشتركت فيها مختلف الشرائح الاجتماعية، وتم جمع ما قيمته 6500 ليرة خلال ساعتين، ووضع مسدس الأمير عبد القادر الذي تبرع به حفيده الأمير سعيد الجزائري في المزاد العلني⁽¹⁰⁾.

■ أرسلت جبهة التحرير الوطني بتاريخ 12 ماي 1957 وفداً ضمّ كلاً من عمر أوعمران وأحمد توفيق المدني وفرحات عباس وأحمد فرنسيس والشيخ العباس وعمر دردور للاتصال بالحكومة السورية، والصحافة، وقادة الرأي لشكرهم وتحفيزهم على التضامن، وعلى الاستمرار في تقديم كل أشكال الدعم للثورة. وخلال حفل رسمي أقيم بالمناسبة تسلم ممثل جبهة التحرير الوطني دفعة أولى من المساعدات قيّرت ب 235 مليون فرنك⁽¹¹⁾.

■ في مارس 1957 وخلال تنظيم أسبوع الجزائر في سوريا زار وفد من جبهة التحرير الوطني الرئيس السوري شكري القوتلي وتسلم مبلغاً مالياً قدره 1800.000 ليرة سورية و132130.49 دولار. وخلال هذا الاجتماع عبّر الرئيس

السوري عن تقديره " لجهاد أبناء الجزائر وأن يساهم في حركتهم التحريرية وعملهم الوطني ويخفف به آلام منكوبيهم مما أصابهم من شواظ الحرب المستعرة في أرض الجزائر الشقيقة "(12).

■ في دمشق وخلال اليوم الأول لأسبوع الجزائر في العاشر من رمضان 1377هـ الموافق للثلاثين مارس 1958 أقيمت عدة مهرجانات شاركت فيها عدة شخصيات سياسية، وتم إلقاء كلمات تبرز التضامن السوري مع الثورة الجزائرية. في هذا السياق اعتبر الرئيس شكري القوتلي القضية الجزائرية قضية قومية، وقضية العرب الداخلية وذكر " يجب أن يشعر هذا الشعب الصامد الأبي، في أعماق محنته وشدته، أن العرب أينما كانوا في مشارقهم ومغاربهم هم عون له فعال، وتعضيد له في ثورة الحق حتى يغنم حريته ويظفر بأرضه وسيادته وكامل حقوقه. وأن تكون دعوتي إليكم للبذل والسخاء والتسابق الى المكرمات، دعوة أخ ومواطن عرف أقداركم"(13). أما أكرم الحوراني فقد أدلى بتصريح لوكالة أنباء الشرق الأوسط قال فيه " ليتنا كنا نستطيع تقديم ما هو أثمن من المال للمكافحين الجزائريين. وإننا نتمنى لو يكتب لنا شرف حمل السلاح إلى جانب إخواننا وأخواتنا بالجزائر. إن يقيني أن المعركة الدائرة في الجزائر هي بمثابة خط الدفاع الأول عن القومية العربية "(14).

■ خلال فترة الوحدة السورية المصرية قررت وزارة الداخلية في الإقليم السوري اقتطاع راتب يومي من رواتب الموظفين لنصرة الجزائر. كما تبرع أفراد الجيش السوري بمبلغ 19413831 ليرة (15).

■ دعمت الحكومات السورية الطلبة الجزائريين في دمشق، واستجابت لطلب جهة التحرير الوطني بزيادة عدد الطلبة في ثانوياتها وجامعاتها من 66 طالباً إلى 107 طلاب. كما تم الاتفاق مع وزير التربية والتعليم السوري على أن تدفع الحكومة السورية كل منح الطالب الجزائري، وإعفاء الطلبة الجزائريين من الرسوم الدراسية إلا الراسيين منهم في الامتحانات، وتقديم الكتب اللازمة مجاناً لطلبة الثانويات والجامعة إلا لمن رسب في امتحان آخر السنة(16). ومن الأمثلة التي تبرز الدعم الرسمي السوري للثورة الجزائرية تحوّل الجزائر على ألقى قنطار من القمح السوري مجاناً كهدية لجيش التحرير الوطني.

كما تغنى الشعراء والفنانون السوريون بالثورة، وببطولات الجزائريين. وفي هذا السياق يذكر السفير عثمان سعدي أنه جمع 199 قصيدة نظمها أربعة وستون شاعر وشاعرة من 20 مدينة وقرية سورية، كان من أبرزهم شعراء كبار مثل سليمان العيسى، ونزار قباني(17). ومن تلك القصائد يمكن الإشارة إلى قصيدة "ملحمة الجزائر" للشاعر سليمان العيسى التي نقتطع منها الأبيات التالية:

روعة الجرح فوق ما يحمل
اللفظ، ويقوى عليه إعصار شاعر
أأغني هديرها، والسموات
صلاة لجرحها، ومجامز؟



أأنّاجي ثوارها، ودويّ
النار أبياتهم، وعصفُ المخاطر؟

بين جنبيّ عبقةً من ثراها
ونداءً - أنّي تَلَقَّتْ - صاهر

ما عساني أقول ؟ والشاعرُ
الرشاشُ، والمدفع الخطيبُ الهادر

والضحايا الممزّقون، وشعبُ
صامدٌ كالإله يلوي المقادر⁽¹⁸⁾

أما نزار قباني فقد تغنى بالبطلة جميلة بو حيرد قائلاً:

الاسم: جميلة بو حيرد
رقمُ الزنّانة: تسعوناً
في السجنِ الحربيّ بوهْران
والعمرُ اثنانِ وعشرون
عينانِ كقنديلي معبّد
والشعرُ العربيّ الأسودُ
كالصيفِ.
كشلالِ الأحزان
إبريقٌ للماءِ. وسجّان
ويّدُ تنضمُّ على القرآن
وامرأةٌ في ضوء الصبحِ
تسترجع في مثل البوح
آياتٍ مُحزنة الإرنان
من سورة (مريم) و(الفتح)⁽¹⁹⁾.

3- الدعم الإعلامي:

تضامن الإعلام السوري بمختلف تياراته الإسلامية، والقومية، والأُممية مع الثورة الجزائرية، وحرص على ضرورة تقديم كل أشكال الدعم والمساندة المادية والعسكرية والديبلوماسية، وذلك من خلال تخصيص ركن إذاعي يومي تشرف عليه جبهة التحرير الوطني يتابع أخبار الثورة. ومن بين الذين لعبوا دوراً محورياً من حيث الإعداد والإشراف على برنامج "صوت الجزائر من دمشق" نذكر محمد مهري الذي كان "يتحمل وحده في المدة الأولى بث البرنامج كاملاً بأنبائه عن الكفاح المسلح وتعليقه السياسي أو تحليله الإخباري وذلك كل يوم"⁽²⁰⁾.



ويؤكد لمين بشيشي أن أبرز ما ميز البرنامج الجزائري في إذاعة دمشق هو أنه كان حُرّاً لا يخضع لأية رقابة من أي نوع كان رغم ما حدث من تغير بعد الانفصال عن مصر⁽²¹⁾. وحسب شهادة المجاهد منور صم فقد برز خلال هذه الفترة نشاط الشيخ محمد الغسيري بشكل لافت. فبالإضافة إلى مشاركته في المعرض الدولي في دمشق، ونشاطه السياسي والعسكري كان يستقبل - بعد ترأسه لمكتب جبهة التحرير في دمشق سنة 1957 - قادة الثورة في مكتبه، وتنظيم دورات تكوينية لبعض الطلاب المجاهدين في اللغة العربية، وتشجيع الطلبة الجزائريين على الكتابة في الجرائد السورية للتعريف بالثورة الجزائرية. وعندما حصل الاتفاق بين إذاعة دمشق والحكومة السورية وجبهة التحرير الوطني على تخصيص حصة إذاعية عرفت باسم " صوت الجزائر من دمشق " والذي وبتكليف من الشيخ الغسيري انخرط محمد مهري والهاشمي قدوري ومحمد أبو القاسم خمار ومنور صم ومحمد بوعروج بكتابة أخبار الثورة، والتعليق على أحداثها، وتحليل أبعادها الدبلوماسية والعسكرية والثقافية، والتفاف الشعب حولها⁽²²⁾. وبعد تولي محمد مهري مهمة الاشراف على " صوت الجزائر من دمشق " أصبحت هذه الحصة التي تبث من الإذاعة السورية تبدأ نشاطها يوميا على الساعة السادسة والنصف يتم من خلالها تقديم " التعاليق على الأحداث وعلى سير الثورة، وتزويد الرأي العام العربي بالخصوص بكل ما يتصل بمختلف جوانب الثورة السياسية منها والعسكرية⁽²³⁾. وقد استمر عمل الإذاعة التي كان الشيخ الغسيري مهتماً بمتابعة كل ما يتعلق بنشاطاتها حوالي أربع سنوات لم يتلق المشرفون عليها أية ضغوط أو توجيه أو تدخل من قبل السوريين إلا بعد تفكك عرى الوحدة السورية-المصرية⁽²⁴⁾.

4-الدعم الدبلوماسي:

ركزت جبهة التحرير الوطني بعد اندلاع الثورة التحريرية في أول نوفمبر 1954 على البعد الدبلوماسي للتعريف بالقضية الجزائرية والسعي إلى تدويلها، وذلك تكريسا لما ورد في بيان أول نوفمبر. وإذا كان النشاط الدبلوماسي لجبهة التحرير موجها لجميع الدول في العالم ذات النزعة التحررية، فإنه انصب بالدرجة الأولى على الأقطار العربية. وعلى أساس ذلك لعبت سوريا دوراً محوريا يمكن إبراز أهم مظاهره في:

- بعد اندلاع الثورة الجزائرية سارعت الحكومة السورية إلى الاتصال بالأمين العام لجامعة الدول العربية ومطالبته بضرورة دعوة الدول العربية لعقد اجتماع عاجل للنظر في القضية الجزائرية، وتبني خطة عربية موحدة لمواجهة ما تعانيه الجزائر.
- تنفيذ كل الادعاءات التي كانت تروجها فرنسا وبعض الدول الغربية كالولايات المتحدة الأمريكية لحل القضية الجزائرية.
- ظلت سوريا من خلال مندوبيها الدائم في الأمم المتحدة تطالب بضرورة إدراج القضية الجزائرية لمناقشتها.
- مؤازرة القضية الجزائرية ودعمها في المؤتمرات العالمية والإقليمية، وفي الأمم المتحدة لكسب التأييد والمساندة.
- دعوة الحكومة السورية الدائمة إلى مقاطعة فرنسا سياسيا واقتصاديا وثقافيا من أجل نصرة الجزائر⁽²⁵⁾.
- استغلت الحكومات السورية المتعاقبة الأحداث الوطنية والدولية لتحسيس بالقضية الجزائرية كما حدث بمناسبة انعقاد المؤتمر الإسلامي سنة 1956 بسوريا، أو أثناء زيارة رئيس وزراء الهند لها في نفس السنة، أو خلال انعقاد معرض دمشق الدولي سنة 1957 حيث دُعيت الجزائر للمشاركة مع بقية الوفود⁽²⁶⁾.

- عممت وزارة الخارجية السورية على بعثاتها الدبلوماسية بلاغاً يؤكد على ضرورة التعاون مع مكاتب جهة التحرير الوطني، وتقديم جميع الخدمات لها، وتمثيلها إذا تطلب الأمر ذلك⁽²⁷⁾.
- تبنت سوريا القضية الجزائرية ودافعت عنها في مختلف المحافل الدولية والإقليمية. وكان ممثل جهة التحرير الوطني يدرج ضمن الوفد السوري كمستشار له.
- بفضل مساعدة سوريا تمكن الوفد الجزائري من المشاركة في الدورة العاشرة للأمم المتحدة عام 1955 بصفته مستشاراً للوفد السوري⁽²⁸⁾.

وهنا ينبغي الإشارة إلى الدور الكبير الذي لعبه عبد الحميد مهري لدعم الثورة الجزائرية بعد تكليفه بإدارة مكتب جهة التحرير بدمشق من خلال التعريف بالقضية الجزائرية، والإشراف على الجالية الجزائرية، والحصول على الأسلحة، وتمثيل الجزائر في المؤتمرات واللقاءات، والإشراف على شؤون الطلبة والجالية الجزائرية في سوريا، والعمل على تدويل القضية الجزائرية، وكسب الدعم العربي للثورة من خلال دفع الحكومات العربية لشجب السياسة الفرنسية في الجزائر⁽²⁹⁾.

ومن الشهادات التي تبرز الدور الذي لعبه عبد الحميد مهري ما ذكره أحمد توفيق المدني في مذكراته بالقول: "...والأخ مهري يدير كل ذلك بعزيمة لا تلين ومهارة فائقة، ورأيت أنه قد تحصل في دمشق على مكانة مرموقة تفتح في وجهه كل الأبواب وتذل أمامه كل الصعاب"⁽³⁰⁾. كما برز دور محمد الغسيري في دعم الثورة الجزائرية من خلال نسج علاقات وطيدة مع الشعب السوري وقياداته السياسية والعسكرية، واستغلال الملتقيات الدولية المنعقدة بسوريا لتحسيس بالقضية الجزائرية، وإرسال أسلحة ومعدات عسكرية للمجاهدين عن طريق مصر، وتدريب فرق من أعضاء جيش التحرير الوطني على الطيران العسكري، والاهتمام بالبعثات الطلابية⁽³¹⁾.

5- الدعم العسكري:

تمثل الدعم العسكري السوري للثورة الجزائرية في إرسال أسلحة ومعدات عسكرية عن طريق مصر⁽³²⁾. وفي سنة 1955 زار أحمد بن بلة دمشق والتقى الرئيس شكري القوتلي، الذي تعهد له بتقديم كل أشكال الدعم للثورة. وتجسيدا لذلك أرسلت سوريا مثلاً سنة 1955 شحنة أسلحة تجاوزت حمولتها 4 طن. وفي سنة 1956 أرسلت أكثر من 200 طن من الأسلحة. وفي 1957 أرسلت سوريا إلى الجزائر " 5000 رشاش قصير برتينا 9 ملم، 500 رشاش خفيف عيار 7.5 نموذج 29/24، 100 رشاش هوتشكيس عيار 8 ملم، 500 بندقية عيار 7.5 ملم نصف آلية نموذج 36، 100 مدفع هاون عيار 60 ملم الفرنسي، 60 مدفع هاون عيار 81 ملم الفرنسي والاطالي، 3000 بندقية عيار 7.5 ملم نموذج 49، 4500000 طلقة عيار 9 ملم تشيكية، 1500000 طلقة عيار 7.5 ملم للرشاش الخفيف، 360000 طلقة عيار 8 ملم، 1125000 طلقة عيار 7.5 ملم عادية للبندقية نموذج 36، 1350000 طلقة عيار 7.5 ملم للبندقية نموذج 49، 18000 قنبلة هاون عيار 60 ملم متفجرة فرنسية، 18000 قنبلة هاون عيار 81 ملم متفجرة"⁽³³⁾.

كما فتحت دمشق كليتها الحربية لتربص وتدريب عدد من الطلبة الجزائريين الذين بلغ عددهم سنة 1957 ثمانية وثلاثين طالبا تخرجوا كطيارين⁽³⁴⁾.

وفي السياق ذاته تطوع عدة أطباء سوريين لمساندة الثورة الجزائرية وإسعاف الجرحى كان من أشهرهم يوسف زعين، إبراهيم ماخوس، ونور الدين الأتاسي⁽³⁵⁾. وقد استمر الدعم العسكري السوري للثورة الجزائرية حتى قيام الوحدة سنة 1958 ليصبح مقدماً تحت راية الجمهورية العربية المتحدة 1958-1961⁽³⁶⁾.

ولعل أبرز دليل يؤكد التماهي الواضح للقيادة السورية مع الثورة الجزائرية، ودعمها عسكرياً تصريح الرئيس شكري القوتلي الذي خطب في الوفد الجزائري الذي قابله: "إن سوريا مشتركة معكم في القتال، إن أردتم سلاحاً أمددناكم بالسلاح، وإن أردتم مالاً عندنا ما نستطيع بذله، وإن أردتم رجالاً فرجال سوريا مستعدون لخوض الوغى إلى جانبكم، أقول هذا الكلام علناً جهاراً لكي تسمع فرنسا قولنا، ولكي تعلم أننا قوم جد لا هزل، وأنا أكلّم قائد الجيش السوري هنا أمامكم لنفتح مخازن الأسلحة، ولنفتح مخازن الذخيرة، حتى يأخذ منا المجاهدون الجزائريون ما يريدون، لقد عقدنا العزم النهائي على أن نموت معاً أو نحيا معاً"⁽³⁷⁾.

كما يمكن الإشارة إلى تصريح العضو القيادي البارز في حزب البعث العربي الاشتراكي ورئيس مجلس النواب السوري، ونائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة أكرم الحوراني الذي سجل في مذكراته: "كانت فرنسا المصدر الوحيد الذي تزود منه سوريا بالسلاح في مواجهة إسرائيل، ومع ذلك فقد حمل حزب البعث العربي الاشتراكي لواء تأييد ثورة الجزائر على المستوى الحكومي والنيابي والشعبي سياسياً وإعلامياً ومادياً غير عابئ بالنتائج"⁽³⁸⁾.

كما كتب خالد العظم رئيس مجلس وزراء سوريا في مذكراته: "قامت سوريا بما يتوجب عليها، بل وأكثر، في دعم الثورة الجزائرية ومدها بالأسلحة والذخائر التي كنا نشترها باسمنا ثم نسوقها إلى الثوار الجزائريين. وتبرع المواطنون في سوريا بملايين الليرات وقدموها بكل شوق. واستمرت سوريا تجاهد في الأمم المتحدة لدعم استقلال الجزائر. وأثرت استمرار وانقطاع علاقتها مع فرنسا وانقطاع السوق الفرنسي بوجه مشترياتنا من الأسلحة على أن تساير العدوان على الجزائر العربية وأن تسكت عنه"⁽³⁹⁾.

ولعلّ ما نقله عبد الرحمن بن العقون في مذكراته عما قاله شكري القوتلي للأمين دباغين دليلاً على ارتباطه ودعمه اللامحدود للثورة الجزائرية: "وكان الدكتور دباغين يحادثه عن الثورة الجزائرية وهو خافض عينيه تأدباً، فلما أكمل حديثه نطق القوتلي وفي نبراته الحميمية والشهامة فقال: يا دكتور أمين أنا لا أحب أن تخفض رأسك عندما تحدث الزعماء العرب، بل أنت الذي ترفع رأسك أمامهم وهم الذين يخفضون رؤوسهم خجلاً أمام الجهاد المقدس، لأنك أنت تدفع الدماء في سبيل العزة العربية، وهم يدفعون الكلام. وكانت رنة صوته تفور بصدق اللهجة وحرارة الضمير"⁽⁴⁰⁾.



الخاتمة:

يمكن من خلال دراسة الموقف السوري من الثورة الجزائرية رصد الاستنتاجات التالية:

1. لعب الجزائريون دوراً كبيراً في حركة التحرر السوري منذ نهاية القرن التاسع عشر وطيلة النصف الأول من القرن العشرين، وانخرطوا في أغلب معارك هذا البلد الفكرية والسياسية والعسكرية. وقدم الجزائريون عبر هذا الدعم والتضامن والتلاحم مع القضية السورية ضريبة الدم من خلال استشهاد عدد من الجزائريين على الأرض السورية. ولعل ذلك ما يفسر المراقبة، والملاحقة، والرصد الذي كان يتعرض له المهاجرون في مختلف أنحاء بلاد الشام من قبل السلطة الاستعمارية الفرنسية.
2. تميز الموقف السوري من الثورة الجزائرية منذ لحظة اندلاعها في 1 نوفمبر 1954 بالتأييد المطلق وتضمن تنظيم تبرعات مالية، وتقديم معدات طبية ودعم ودعاية إعلامية، وتضامن سياسي ودبلوماسي، ودعم عسكري.
3. لعب الدعم السوري والعربي بشكل عام – بالإضافة إلى التضحيات التي قدمها الشعب الجزائري، وقياداته العسكرية والسياسية – دوراً في استمرارية الثورة وصمودها رغم كل المشاريع، والمخططات الاستعمارية الفرنسية سياسياً ودبلوماسياً وعسكرياً واقتصادياً ونفسياً.
4. ارتبط دعم سوريا للثورة الجزائرية بالشعور القومي والزعمة الوحدوية، التي كانت ثابتاً في الفكر السياسي السوري، وبوحدة المنظومة الحضارية ومعركة المصير الواحد التي أصبح الشعب العربي يؤمن بها من المحيط إلى الخليج، ولعمق العلاقات التاريخية الضاربة في القدم. كما تعد بمثابة ردّ دين للجزائريين الذين لعبوا دوراً محورياً في حركة التحرر السوري خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.
5. رغم الوضع الاقتصادي المتردي، والصراعات الإيديولوجية بين مختلف التيارات، ومخاطر الاستعمار والصهيونية ظل دعم الثورة ومساندتها خيار كل الشعب السوري بمختلف شرائحه الاجتماعية، وتشكيلاته السياسية.
6. ارتباط العرب بالثورة الجزائرية بشكل عام والسوريين بشكل خاص ودعمهم ومساندتهم للثورة الجزائرية يبرز فشل الطوق الحديدي وحالة الحصار الشاملة لعزل الجزائر عن مجالها الحضاري في إطاره العربي الإسلامي.
7. لم تخضع سوريا لمختلف الضغوطات التي مورست عليها من قبل فرنسا لمنعها من الاستمرار في دعم الثورة الجزائرية منذ اندلاعها وإلى غاية تحقيق الاستقلال، مما يعكس صدق وتجذر روح تضامن وتلاحم الدولة السورية شعباً وحكومة مع الجهاد والنضال الجزائري.
8. إذا كان مفهوم التاريخ هو دراسة الماضي لفهم الحاضر وبالتالي استشراف المستقبل، فإنه وفي ظل الهجمة الاستعمارية الجديدة على الوطن العربي ومحاولات تجزئته وتفتيته، واستغلال خيالاته ونهب ثرواته، وإثارة الصراع الاثني والاحتراب الطائفي بين جميع مكوناته، ودفعه نحو التطبيع يصبح استحضار كل أشكال الدعم العربي للثورة



الجزائرية دافعا لتذكير العرب قادة وشعوبا بضرورة التماهي مع القضية الفلسطينية، ومناصرتها كواجب قومي والتزام ديني تفرضه التحديات الخارجية، ووحدة المنظومة الحضارية، ومعركة المصير الواحد.

الهوامش:

- 1 - هو الشيخ الطاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني الجزائري أصلا الدمشقي مولدا ومقاما. هاجر والده من بني وغيليس بالقبائل إلى سوريا وهناك تولى قضاء المالكية وأصبح أديبا وشاعرا. اهتم بالإصلاح الديني والاجتماعي والثقافي. انخرط في العمل السياسي ومعارضة الاستبداد. أزعج نشاطه السلطة التي حاصرتة في وظيفته. ونتيجة ذلك هاجر إلى القاهرة. عين مديرا لدار الكتب. وعضوا في المجمع العلمي العربي. توفي سنة 1920. أنظر: ناصر الدين، سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995، ص. 136-193.
- 2 - خرفي، صالح، الجزائر والأصالة الثورية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977، ص. 62-63.
- 3 - رغداء زيدان، تاريخ الجمعيات في بلاد الشام 1850-1918، مجلة دراسات تاريخية، العدد 7، ربيع الأول كانون الثاني، سوريا 1982، ص. 40.
- 4 - سهيل الخالدي، الإشعاع المغربي في المشرق، دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام، دار الأمة، ط1، الجزائر، 1997، ص. 83.
- 5 - نفسه، ص. 99.
- 6 - نادية طرشون وآخرون، الهجرة الجزائرية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2002، ص. 297.
- 7 - سهيلة الريماوي، صفحات، "صفحات من تاريخ الجمعيات في بلاد الشام 1850-1918"، مجلة دراسات تاريخية، العدد 7، ربيع الأول كانون الثاني، سوريا 1982، ص. 138.
- 8 - المرجع نفسه، ص. 137.
- 9 - مصطفى الشهابي، محاضرات: القومية العربية تاريخها وقوامها ومراميها، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ط2، 1961، ص. 48.
- 10 - الريماوي، مرجع سابق، ص. 146.
- 11 - الخالدي، الإشعاع المغربي، مرجع سابق، ص. 177.
- 12 - المرجع نفسه، ص. 118.
- 13 - جورج أنطونيوس، يقظة العرب : تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة وتقديم ناصر الدين الأسد، إحسان عباس، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، ص. 184.
- 14 - المرجع نفسه، ص. 186.
- 15 - سعيد، الثورة العربية الكبرى، ص. 52. أنظر أيضا: توفيق، برو، العرب والترك في العهد الدستوري 1908-1914، (د.ط)، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، 1961، ص. 561.
- 16 - الخالدي، الإشعاع المغربي، ص. 123.
- 17 - المرجع نفسه، ص. 377.
- 18 - وليد، عرفات، ملف الضحايا الجزائريين بسوريا، الشروق، العدد 2136، الأربعاء 22 شوال 1428 هـ، 31 أكتوبر 2007م، الجزائر، ص. 8.
- 19 - حسن أمين، البعني، السلطان باشا الأطرش والثورة السورية الكبرى، ط1، مؤسسة التراث الدري، لندن، 2008، ص. 375.
- 20 - مصالي، الحاج، مذكرات مصالي الحاج، 1898-1938، ترجمة محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2007، ص. 198.
- 21 - البصائر، أخبار العالم الإسلامي، السنة الثالثة، العدد 144، 24 شوال 1357 هـ-16 ديسمبر 1938، ص. 6.
- 22 - أحمد، طربين، أصداء التضامن في المجلس النيابي السوري مع الثورة الجزائرية (1954-1958) وردت في الملتقى الدولي الجزائري (24-28 نوفمبر 1984) الثورة الجزائرية وصداها في العالم ENAL ALGER 1985، ص. 32، 33، 34.
- 23 - المرجع نفسه، ص. 40.
- 24 - أحمد جرجيس، الثورة الجزائرية في مبادئ حزب البعث العربي الاشتراكي 1954 - 1962، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2001، ص. 98، 100.
- 25 - عمار بن سلطان وآخرون، الدعم العربي للثورة الجزائرية، ط1، منشورات المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص. 263.
- 26 - الجزائر في المؤتمر الطي العربي السابع والعشرين، المجاهد، العدد 45، الإثنين 23 ذو الحجة 1378 هـ-1959/06/29، ص. 10.
- 27 - عمار بن سلطان وآخرون، الدعم العربي، ص. 263.
- 28 - أحمد توفيق، المدني، حياة كفاح، جزء 3، دار البصائر، الجزائر 2009، ص. 502.
- 29 - المصدر نفسه، ص. 452.
- 30 - بسام العسلي، مصطفى طلاس، الثورة الجزائرية، ط3، دار العزة والكرامة للكتاب، الجزائر 2013، ص. 400.



- 31- المرجع نفسه، ص. 402.
- 32- عمار بن سلطان وآخرون، الدعم العربي، ص. 219.
- 33- المدني، حياة كفاح، ص. 702.
- 34- المصدر نفسه، ص. 561.
- 35- عثمان سعدي، الثورة الجزائرية في الشعر العربي الحديث، الشروق، العدد 30952، 5 ماي 2018، ص. 7.
- 36- سليمان العيسى، ديوان الجزائر، دار أطفالنا للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984، ص. 28.
- 37- نزار قباني، الأعمال الكاملة، ط1 منشورات نزار قباني، بيروت، 1982، ص. 172.
- 38- الأمين بشيشي، دور الإعلام في معركة التحرير، الثقافة، السنة التاسعة عشرة، العدد 104، سبتمبر- أكتوبر 1994، ص. 71.
- 39- المرجع نفسه، ص. 72.
- 40- منور، صم، مذكرات المجاهد منور صم، ط1، مطبعة بوعروج، الجزائر، 2011، ص. 179.
- 41- محمد، مهري، ومضات من دروب الحياة، ط1، منشورات السائحي، الجزائر، 2013، ص. 130.
- 42- المرجع نفسه، ص. 132.
- 43- عمار بن سلطان وآخرون، الدعم العربي، ص. 213- 214.
- 44- المرجع نفسه، ص. 251.
- 45- أحمد حلواني، موقف الشعب السوري ثورة التحرير الجزائرية (خلفياته، أشكاله، وطموحاته، ونتائجه)، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 48-47 صيف خريف 2015، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2015، ص. 76.
- 46- أحمد سعيود، العمل الدبلوماسي لجهة التحرير الوطني 1954-1958، ط1، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2008، ص. 69-70.
- 47- عبد الله، مقلاتي، عبد الحميد مهري نضاله ودوره السياسي ف بالثورة التحريرية، السائرة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 3، العدد 2، جوان 2017، ص. 16-17.
- 48- أحمد توفيق المدني، مرجع سابق، ص. 301.
- 49- النوي، بن الصغير، الحركة الإصلاحية في الأوراس محمد الغسيري أنموذجا 1930-1974، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف الصالح لميش، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، الجزائر 2008-2009، ص. 126-127.
- 50- إسماعيل ديش، المواقف العربية والدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954-1962، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والعلاقات الدولية " العدد 1 " المجلد 2، جوان 1994، الجزائر، ص. 41.
- 51- العسلي، مرجع سابق، ص. 221.
- 52- مريم الصغير، المواقف الدولية من القضية الجزائرية 1954-1962، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2004، الجزائر، ص. 165.
- 53- معي الدين عميمور، ويترجل الفارس الثالث، الشروق اليومي، العدد 5520، الجزائر، ص. 6.
- 54- للاطلاع على كشوف استلام الأسلحة وحجمها والذخائر الموجهة للجزائر من قبل مصر، وخلال الفترة الممتدة بين 1958- 1961 أي خلال فترة الوحدة السورية - المصرية انظر ملحق الوثائق والمستندات في : فتحي الديب، عبد الناصر وثورة الجزائر، ط2، دار المستقبل العربي، مصر، 1990، ص. 647 وما بعدها.
- 55- المدني، حياة كفاح، ص. 450.
- 56- أكرم، الحوراني، مذكرات أكرم الحوراني، ط1، مكتبة مدبولي، مصر 2000، ص. 1948.
- 57- خالد، العظم، مذكرات خالد العظم، ج3، ط3، الدار المتحدة للنشر، بيروت 1983، ص. 398.
- 58- سهيل، الخالدي، جيل قسما. تأثير الثورة الجزائرية في الفكر العربي المعاصر، ط1، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر 2007، ص. 60.

